(٦٦)

الْوَاسِعُ ﷻ

لما سمع أهل الإيمان عن اسم الله (الواسع ﷻ) تعلقت قلوبهم بذكره، واشتاقت أرواحهم لرؤيته، فقلوبهم لا يشبعها إلا الانحناء له، والطواف ببيته، والوقوف بين يديه، والقيام من النوم لأجله، وبذل المهج في سبيله.

قال ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف:١٥٦]، وقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾[البقرة:٢٤٧].

فربنا هو الواسع الغني ﷻ؛ الذي وسع غناه جميع عباده، وسع خلقه كلهم بالكفاية والأفضال والجود والتدبير.

وهو الواسع المطلق ﷻ، والكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وملكه وسلطانه، فلا يحصي أحد ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه، فمهما وصفه الواصفون من خلقه فلن يبلغوا كنهه، ولن يحيطوا به علمًا.

وربنا وسع علمه كل شيء: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[الأعراف: ٨٩]، لا تخفى عليه خافية، فالله ﷻ يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة

الصماء في الليلة الظلماء، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

وعلمه يشمل أسرار القلوب، وما تضمره الصدور من خير وشر؛ ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾[غافر:١٩]، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾[البقرة: ٢٣٥].

وربنا ﷻ واسع المغفرة؛ يغفر لكل من تاب وأناب؛ مهما بلغت ذنوبه وخطاياه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[النجم:٣٢].

وربنا الواسع ﷻ؛ الذي يوسع على عباده في دينهم، ولا يكلفهم ما ليس في وسعهم، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾[البقرة:١١٥] .

وَأَشْهَـــــدُ أَنَّ اللهَ لاَ رَبَّ غَـــــيرُهُ
كَـــرِيمٌ رَحِـــيمٌ يُرْتَجَـــى وَيُؤَمَّـــلُ
إِذَا سُـئِلَ الخَيْـرَاتِ أَعْطَـى جَزِيلَهَـا
وَيَرفَـــعُ مَكْـــرُوْهَ الـــبَلاَ وَيُـــزَوِّلُ
يَسِحُّ مِنَ الخَيْرَاتَ سَحًّا عَلَى الوَرَى
فَيُغْنِـــي وَيُقْنِـــي دَائِمًـــا وَيُحَـــوِّلُ
إِذَا أَكْثَـرَ المُثْنِـيْ عَلَيْـهِ مِـنَ الثَّنَـا
فَذُوْ العَرْشِ أَعْلَى فِي الجَلاَلِ وَأَجْمَلُ

❐ الواسع يكفيك همك!

ومن فهم اسم الله: (الوَاسِعِ)؛ذهب خوفه، وحلت الطمأنينة في قلبه، وفتح له باب الأمل.

فذاك المزارع الذي تأخر عليه وقت الحصاد، وشح الماء، وتعاظمت حاجته للثمر؛ لما علم أن الله واسع عليم؛ نظر إلى السماء، وتعلق قلبه بربه، ونادى: يا واسع العطاء.. يا الله.. يا واسع الرحمة.. يا واسع الجود! جد علي من بركاتك وخيراتك.

وذاك العقيم رضته الأيام، وأتعبته الآلام، واشتاق إلى طفل يلاعبه ويملأ حياته، وتأخر الحمل أو فجع بقول البشر: عقيمًا! وبينما يحدث ذلك والحزن يعم؛ تستيقظ في داخله حياة أخرى بتذكره بأن الله الواسع الكريم الجواد، لا يرد سائلاً موقنًا بالإجابة؛ فينادي: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾[آل عمران:٣٨]، ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء:٨٩-٩٠].

وكذا المريض؛ آهاته يسمعها الله، وآلامه يعلمها الله، فإذا تذكر واسع العطاء، وهو الشافي والكافي لعباده؛ نادى: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ

ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾[الأنبياء:٨٣].

فيكشف الله ﷻ الهم، ويزيل الغم، ويدب الشفاء.. إِنَّهُ اللهُ الوَاسِعُ ﷻ.

تتزاحم الهموم في قلب المدين؛ حتى ما يظن أن لها كاشفةً، ثم يفتح الله ﷻ على قلبه، ويلجئه إليه، فيلوذ بجناب واسع العطاء والجود والكرم؛ فينادي: يا قاضي الحاجات.. يا واسع العطاء! ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[النمل:٦٢].

فيقضي الله الدين، ويرزقه من حيث لا يحتسب، وتظهر الابتسامة، ويهدأ القلب، وتسكن النفس؛ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ [الأنعام:٦٤].

تحل المعضلة بالعالم، وتشكل عليه المسألة؛ فيتيه عن الصواب، ويعز عليه الجواب، فيمرغ أنفه في التراب مناديًا ومستجديًا: يا واسع العطاء.. يا واسع العلم.. يا معلم إبراهيم علمني.. يا مفهم سليمان فهمني!

فيأتي التوفيق، وتحل المغاليق من الواسع ﷻ.

يختلف الزوجان، وينقطع الحبل، وتنقطع أواصر المحبة، وتضيق بهما الحال بعد الطلاق؛ فيلجآن إلى الله الواسع.

فيبدل كل واحد منهما خيرًا من الآخر: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾[النساء:١٣٠].

❐ ربح البيع..

يخشى المرء من الإنفاق، ويخاف من الفقر؛ وما ذاك إلا لأن الشيطان وسوس في صدره بالشر والفقر، ودعاه إلى البخل وعدم الإنفاق، ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾[البقرة:٢٦٨].

فيتذكر المؤمن بأن الله الواسع الكريم قد وعد ﷻ بقوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة:٢٤٥]، ويتذكر قوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾[آل عمران:٧٣]؛ فينفق من ماله، مقرضًا ربه، متيقنًا بالخلف من الله ﷻ في الدارين، فإذا بالبركات والرحمات تتنزل، وتعظم المنة من الله الواسع صاحب الكرم والجود.

❐ دموع الخائفين..

يتذكر المؤمن عظيم ذنبه، وكثرة خطئه؛ فتهيج عليه أحزانه، ويشتعل فؤاده، وتسيل عيناه من الدمع خوفًا من الجبار؛ فيتذكر قول الله ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾[الأعراف:١٥٦]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[النجم: ٣٢].

فيعلن التوبة والإنابة إلى الله ﷻ، راجيًا الدخول في قوله ﷻ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[الفرقان:٧٠]، مستشعرًا دعاء الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾[غافر:٧]، فتغسل التوبة حرقة فؤاده، ولوعة نفسه، ويجعله الله ﷻ من التوابين ومن المتطهرين، ثم يمن عليه باستقامة إلى الممات، ثم المآل إلى جنات النعيم، ثم يسمع: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾[ص:٥٤].

❐ رسائل..

وربنا الواسع ﷻ؛ الذي وسعت رحمته جميع الخلائق: ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾[الأنعام:١٤٧].

وقد وسع الله على عباده في دينهم، ورفع الضيق والحرج عنهم؛ فخفف عن المريض والمسافر والمسن وغيرهم من أصحاب الأعذار، فلم يكلفهم ما لا يطيقون ﷻ؛ ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٣٣]، ومن ضاقت عليه الأرض؛ فالله ﷻ قد وسع على عباده فيها؛ ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾[الزمر: ١٠].

وأوسع عطاء يعطيه الله ﷻ خلقه هو: الصبر، صح عنه ﷺ أنه قال: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»

أخرجه البخاري -وهذا لفظه-، ومسلم].

والصبر داخل في جميع أمور العبادات؛ فصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على أقدار الله ﷻ، فالحياة كلها صبر إلى أن نلقى الله ﷻ.

قال الحسن البصري رحمه الله: "الصبر: كنز من كنوز الخير، لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده".

يَا مَنْ يُغِيثُ الوَرَى مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوْا

اِرْحَمْ عِبَادًا أَكُفَّ الفَقْرِ قَدْ بَسَطُوْا

عَوَّدْتَهُمْ بَسْطَ أَرْزَاقٍ بِلاَ سَبَبٍ

سِوَى جَمِيلِ رَجَاءٍ نَحْوَهُ انْبَسَطُوْا

يا الله.. يا واسع العطاء! هب لكل واحد منا فوق مسألته؛ فأنت على كل شيء قدير.